# القَصَصُ القرآنيُّ وَأَثَرهُ فِي حِفْظِ الضَرُورات الخمس

## [ضرورة حفظ الدين أنموذجاً]

Quranic stories and its impact on memorizing the five necessities

[The necessity of preserving religion as a model]

Dr. ALI SAEED HAMADI

Dept. The Sunni Endowment Office – Department of Religious Education and Islamic Studies

أ.م.د. علي سعيد حمادي

ديوان الوقف السني / دائرة التعليم الديني والدراسات الاسلامية

aliabuanas2000@gmail. com

## الملخص

تهدف هذه الدراسة اظهار أهمية القصص القرآني في التأصيل للمحافظة على الضرورات الخميس ومنها ضرورة المحافظة على الدين وقد انتظم البحث في مبحثين: الأول: التعريف بالقصة القرآنية، والضرورات الخمس، وأما المبحث الثاني: المحافظة على ضرورة الدين من خلال تتبع شواهد من القصص القرآني وأثره في المحافظة على ضرورة الدين من حيث الوجود والعدم، ثم الخاتمة جاءت لتسجل أهم نتائج البحث والحمد لله ربّ العالمين.

الكلمات المفتاحية: ((القصص القرآني، حفظ الدين، الضرورات الخمس)).

## ABSTRACT

This study aims to show the importance of Qur'anic stories in rooting for the preservation of the Thursday necessities, including the necessity of preserving religion. The research was organized into two sections: the first: introducing the Qur'anic story, and the five necessities, and the second topic: preserving the necessity of religion by tracking evidence from the Qur'anic stories and its impact on Preserving the necessity of religion in terms of existence and non-existence, and then the conclusion came to record the most important results of the research, and praise be to God, Lord of the Worlds.

Keywords :Qur'anic stories ,memorizing religion ,the five necessities.

## المقدمة

الحمد لله الذي أدركت الألبابُ بدائعَ حِكَمه، وأنارت العقولَ عظائمُ حُجَجه، وقطعت الأطماعَ دلائلُ صُنْعه، أحمده وحده لا شريك له، ربّ المشارق والمغارب، الذي يقذف بالحقّ على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق، والصلاة والسلام الأتمّان الأكملان على أفصح الناس حجّة ودليلاً، وأوضحهم مَحّجة وسبيلاً؛ نبيِّنا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً..... وبعد

جاء القرآن الكريم بقصصٍ شتى عن الماضين من الأنبياء والمؤمنين والصالحين، وقصصٍ عن الكفار والمفسدين وغيرهم، وقد وصفه الله تعالى بأنّه أحسن القصص قال سبحانه وتعالى: [ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾] {سورة يوسف الآية: ٣}، وانما سَمَّاهَا أَحْسَنَ الْقَصَصِ لِمَا فِيهَا مِنَ الْعِبَرِ وَالْحِكَمِ وَالنُّكَتِ وَالْفَوَائِدِ الَّتِي تَصْلُحُ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا، وتميز هذا القصص بوحدة النسيج في موضوعه، وأسلوبه، ومقاصده، وغاياته، وهو بعيد عن الخيالات، والأوهام، والتنميق؛ ذلك لأنه صادق في موضوعه، صادق في أسلوبه، حقيقي في أحداثه، لا يشوبه شائبة تنقص من صدقه، وإخلاصه، وروعته، وصفائه.

أهمية الموضوع:

تظهر أهمية القصص القرآني من وجوه عديدة منها، أن نعتبر بما جاء في هذه القصص من أخبار، وحقائق، ومعانٍ، وأنماط من المدافعات بين أهل الحق والباطل، وان في قصص القرآن بيان لسنن الله تعالى في خلقه من الأمم والجماعات والأفراد، وهي سنن جرت على الماضين، وتجري على اللاحقين؛ ليعتبر بها المؤمنون، وفيها ايضا بيان لمناهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى، من أجل التأسي بهم في طريقة الدعوة، ومعرفة أساليبها وكيفية معالجة أحوال الناس.

سبب اختيار موضوع البحث:

يتبين سبب اختيار موضوع البحث من خلال الأمور الاتية:

أولاً: الجمع بين الدراسة التأصيلية للضرورات الخمس والقصص القرآني من خلال بيانه لحفظها.

ثانيًا: الكشف عن وجوه القصص القرآني والاستعانة به بهذا البحث لفهم مضامين القرآن الكريم.

ثالثًا: إبراز أهمية القصص القرآني وعلاقتها بمقاصد الشريعة.

منهجي في البحث:

وقد نهجت في البحث بدراسة القصص القرآني متتبعا قدر المستطاع أثره على حفظ الضرورات الخمس

واتخذت من ضرورة الدين انموذجًا، وجمع اقوال أهل العلم في ذلك، وقمت بكتابة آيات القران الكريم بخط المصحف بين قوسين مزهرين وعزو الآيات في المتن بعد الآيات القرآنية مباشرة تعظيماً لكتاب الله تعالى وتفريقاً له عما كتبه العباد من كتب فلم أضعه في الهامش في كل البحث، ورأيت أن أثبت بطاقة الكتاب أخر البحث، ولا أذكرها في الهامش حتى لا أثقل البحث بها.

حدود البحث:

يحدد موضوع بحثنا في القصص القرآني من جانب، ومن جانب آخر في مقاصد الشريعة الاسلامية من خلال ضرورة حفظ الدين وهي من الضرورات الخمس التي جاء الشرع ليحافظ عليها وهي الدين والنفس والعقل والعرض والمال.

خطة البحث:

بعد تأمل في موضوع البحث رأيت أن تنتظم خطة البحث بعد المقدمة كما يأتي:

المبحث الأول: التعريف بالقصة القرآنية، والضرورات الخمس.

المبحث الثاني: المحافظة على ضرورة الدين وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المحافظة على ضرورة الدين.

المطلب الثاني: شواهد من القصص القرآني وأثره في المحافظة على الدين من حيث الوجود.

المطلب الثالث: شواهد من القصص القرآني وأثره في المحافظة على الدين من حيث العدم.

ثم جاءت الخاتمة لتسجل أهم ما توصلت اليه من نتائج في هذا البحث.

ثم ثبت المصادر والمراجع.

وفي الختام أسأل الله تعالى أنْ يَجعل عَملي خَالصاً لوجهِهِ الكريم، فما كان فيه من خير فمن الله تعالى، وما كان فيه من نقص وخَلل فمن نفسي، فالله أرجو أنْ أكون قد وفقت في عملي هذا، وابرزت صورة من صور روائع القرآن الكريم في المحافظة على هذا الدين من خلال القصص القرآني.

وَآخِرُ دَعْوَانا أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

## المبحث الأول
## التعريف بالقصة القرآنية، والضرورات الخمس.

أولاً: معنى القصص في اللغة والقرآن الكريم.

القصة في اللغة: القصة: الْخَبَرُ وَهُوَ القَصَصُ، وَقَصَّ عَلَيَّ خبَره يقُصُّه قَصّاً وقَصَصاً: أَوْرَدَه، وهو أيضاً الْجُمْلَةَ مِنَ الْكَلاَمِ[1]، وتأتي بمعنى المُتَابَعة، وذلك أن القاص يتبع الخبر بعضه بعضا، قال سبحانه وتعالى: [ وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ ] [سورة القصص من الآية:١١]، أي: تتبعي أثره[2]، وقال سبحانه وتعالى: [فَٱرۡتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصٗا ﴿٦٤﴾] [سورة الكهف من الآية: ٦٤]، أي: رجعا من الطريق الذي سلكاه يقصان الأثر [3].

والقَصَصُ: الخبرُ المَقْصوص، بِالْفَتْحِ، وُضِعَ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ حَتَّى صَارَ أَغْلَبَ عَلَيْهِ. والقِصَص، بِكَسْرِ الْقَافِ: جَمْعُ القِصّة الَّتِي تُكْتَبُ. [4]

والقَصُّ: البَيان، قَالَ سبحانه وتعالى: [ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ] [سورة يوسف من الآية: ٣]، أي: نُبين لك أحسَن البَيان[5]، والقاصُّ: الَّذِي يَأْتِي بالقِصَّة عَلَى وجْهِها، كَأَنَّهُ يَتَتَبَّع مَعانِيَها وأَلْفاظَها، أو لأنه يقص القصص تباعاً خبرا بعد خبر.[6]

والقِصَّةُ، بالكَسْرِ: الأَمْرُ والحَدِيثُ، والخَبَر، كالقَصَصِ، بالفَتْح، وَتُجمَع عَلى قِصَص بِالكَسر كعِنَبٍ، وَجَمعُ الجَمعُ أَقَاصِيص، والقَصَصُ بِالفَتحِ بِمعْني الخَبَرُ المَقْصُوص وضِعَ مَوضِع المَصدر حَتى صَار أغْلب عَليه[7].

معنى القصة في القرآن الكريم:

وعلى هذا المعنى اللغوي جاء معنى القصة في القرآن الكريم، قال سبحانه وتعالى: [إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡقَصَصُ ٱلۡحَقُّۚ ] [سورة آل عمران من الآية:٦٢]، أي: الخبر اليقين[8]، وفي اصطلاح العلماء هو: (إخبار الله عما

(١) لسان العرب: لابن منظور (٧/ ٧٣) مادة: قصّ.
(٢) تفسير ابن فورك، ت: بندويش (١/ ٣٣٣)، ولسان العرب: لابن منظور (٧/ ٧٤) مادة: قصّ.
(٣) المفردات: للراغب الأصفهاني(ص٤٥١)، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن: البغوي (٣/ ٢٠٥).
(٤) لسان العرب: لابن منظور (٧/ ٧٤) مادة: قصّ.
(٥) تهذيب اللغة: للأزهري (٨/ ٢١١) مادة: قصّ
(٦) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير (٤/ ٧٠).
(٧) ينظر تاج العروس: للزبيدي (١٨/ ١٠٤)، مادة قصَص.
(٨) تفسير القرآن: لابن المنذر (١/ ٢٣٤).

حدث للأمم السابقة مع رسلهم، وما حدث بينهم وبين بعضهم، أو بينهم وبين غيرهم أفراداً وجماعات، من كائنات بشرية أو غير بشرية، بحق وصدق، للهداية والعظة والعبرة)[١].

ومن هنا نجد أن المفهوم اللغوي لكلمة (قصة) يتمحور حول التتبع لأمر ما وبيانه والإخبار به، ويتضح لنا، مما سبق مدى توافق كلمة (القص) الواردة في القرآن الكريم، والمعنى اللغوي للاستعمال العربي آنذاك، والذي توارثته جُّل معاجم اللغة العربية.

إذًا يتلاقى المعنى اللغوي، مع المفهوم الذي يحتوي عليه أصل التسمية للقصص القرآني، بالرغم من أنَّ لفظة (القصة) لم ترد في القرآن الكريم، وإنما الذي ورد فيها لفظة (القَصص) بفتح القاف والذي يغلب عليه طابع الرواية الشفوية. [٢]

وأن القرآن الكريم أطلق لفظ القصص على ما حدث به من أخبار الأمم السابقة والقرون الأولى في مجالات الرسالات السماوية وما كان يقع في محيطها من صراع بين الخير والشر والحق والباطل، وقد بنيت بناء محكماً من لبنات من الحقيقة المطلقة التي لا يطوف بحماها طائف من خيال ولا يطرقها طارق منه[٣].

ثانياً: التعريف بالضرورات الخمس.

تنقسم المقاصد الشرعية من حيث ضرورتها وشدة الحاجة إليها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: المقاصد الضرورية: وهي المقاصد التي تقوم عليها حياة الناس الدينية والدنيوية، ويتوقف عليها وجودهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة، وإذا فقدت هذه المصالح الضرورية اختل نظام الحياة، وفسدت مصالح الناس، وعمّت فيهم الفوضى وتعرض وجودهم للخطر والدمار والضياع والانهيار.

وسميت بذلك؛ لأن الخلق مضطرون إليها اضطراراً شديدًا، ولا غنى لهم عنها، وتُعرف هذه المقاصد بالضرورات الخمس[٤]، وهذه المقاصد الضرورية لم تخل من رعايتها ملة من الملل؛ يقول القرافي رحمه الله: (حكى الغزالي وغيره إجماع الملل على اعتبارها، وأن الله تعالى ما أباح النفوس ولا شيئًا من الخمسة المتقدمة في ملة من الملل، وأن المسكرات حرام في جميع الملل، وإن وقع الخلاف في اليسير الذي لا يُسكر، ففي

(١) القصص القرآني: د. عبد الباسط بلبول (ص ٣٦).
(٢) مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين: د. العرابي خضر (ص ٨).
(٣) القصص القرآني في مفهومة ومنطوقة: لعبد الكريم الخطيب (ص ٤٠).
(٤) يُنظر: التقرير والتحبير: لابن امير الحاج (٣/١٤٣)، والمقاصد الشرعية وأثرها في الفقه الإسلامي: محمد عبد العاطي (ص ١٦٣).

الإسلام هو حرام، وفي الشرائع المتقدمة حلال، أما القدر المسكر فحرام إجماعًا من الملل) [١].

وقال الشاطبي رحمه الله: (وَمَجْمُوعُ الضَّرُورِيَّاتِ خَمْسَةٌ، وَهِيَ: حِفْظُ الدِّينِ، وَالنَّفْسِ، وَالنَّسْلِ، وَالْمَالِ، وَالْعَقْلِ، وَقَدْ قَالُوا: إِنَّهَا مُرَاعَاةٌ فِي كل ملة). [٢]

وتنحصر مصالح الناس الضرورية في خمسة أشياء، وهي: الدين، والنفس، والعقل، والعرض، أو النسب، والمال[٣].

القسم الثاني: المقاصد الحاجية: وهي التي يفتقر الناس إليها من حيث التوسعة ورفع الضيق المؤدي في الغالب إلى الحرج والمشقة، وقد عرفها الآمدي رحمه الله بقوله: (هي تكون من قبيل ما تدعو حاجة الناس إليها) [٤]، ومن ذلك أجاز الشارع الإجارة لسد الحاجة اللازمة للسكن، والانتفاع بملك الآخرين[٥]، ولذلك تأتي الأحكام التي تحقق هذه المصالح الحاجية للناس لترفع عنهم الحرج، وتيسر لهم سبل التعامل، وتساعدهم على صيانة مصالحهم الضرورية، وتأديتها والحفاظ عليها، عن طريق (الحاجيات)[٦].

القسم الثالث: المقاصد التحسينية: وهي المقاصد التي تكون على سبيل التكميل والتجميل، وسميت بذلك لأنها تحسن حال الإنسان، وهي مكملة للمقاصد الضرورية والحاجية، ومن ذلك شرع أخذ الزينة عند المساجد، والترغيب بالتحلي بالآداب الإسلامية، وتجنب التبذير والإسراف[٧].

وهذه الأمور التحسينية ترجع إلى ما تقتضيه الأخلاق الفاضلة والأذواق الرفيعة، وتكمل المصالح الضرورية والمصالح الحاجية على أرفع مستوى وأحسن حال[٨].

والضرورات الخمس هي: [٩]

أولًا: حفظ الدين: أي الدين الإسلامي، والعمل به، والحرص على صيانته بالمحافظة على ما يقويه في

(١) شرح تنقيح الفصول: القرافي (ص٣٩٢).
(٢) الموافقات: للشاطبي (٢/ ٢٠).
(٣) ينظر: المستصفى، للغزالي (١/ ٢٨٦)، علم أصول الفقه، خلاف(ص١٩٩)، الموافقات: الشاطبي (٢/ ٤)، الأصول العامة، محمد تقي حكيم (ص٦٠، ٦١).
(٤) الإحكام في أصول الأحكام: الآمدي (٣/ ٢٧٣).
(٥) يُنظر: البرهان في أصول الفقه: الزركشي (٢/ ٨٢).
(٦) ينظر: المستصفى، للغزالي (١/ ٢٨٩).
(٧) يُنظر: المقاصد الشرعية، تعريفها وأمثلتها وحجيتها: نور الدين بن مختار الخادمي (ص ٩٤-١٠٢).
(٨) انظر: الموافقات للإمام الشاطبي (٢/ ٦)، علم أصول الفقه، خلاف(ص٢٠٠)، المستصفى، للغزالي(١/ ٢٩٠).
(٩) يُنظر: الموافقات: للشاطبي (٢/ ٢٠) وما بعدها، والمقاصد الشرعية وأثرها في الفقه الإسلامي محمد عبد العاطي (ص١٦٣)، والمقاصد الشرعية، تعريفها وأمثلتها وحجيتها: الخادمي (ص٩٠).

النفوس، ومحاربة ما يُخل به، ويهدف حفظ الدين إلى تثبيت أركانه ونشره.

ثانيًا: حفظ النفس: أي حق النفس البشرية في الحياة والصحة والسلامة والكرامة؛ قال سبحانه وتعالى: [وَلَقَدْ كَرَّمْنَا لَا يَجِدُوا] [سورة الإسراء من الآية: ٧٠]، ولتحقيق هذا المقصد شُرعت أحكام كثيرة منها تحريم القتل، والاعتداء على الآخرين، ووجوب إكرام الميت بغسله ودفنه، ونحو ذلك.

ثالثًا: حفظ العقل: ومعناه المحافظة على العقل الإنساني، وصونه عن كل ما يُلحق به الأذى والضرر، ولأجل هذا المقصد حرم الله سبحانه وتعالى الخمر وكل مسكر، كما أولى الإسلام العقل عناية فائقة، وذلك من خلال جعله شرطًا رئيسًا للتكليف.

رابعًا: حفظ العرض: ومعناه حفظ كل ما يؤثر على العرض والنسل وإعمار الأرض بتحقيق التناسل المشروع من خلال الرابطة الشرعية، وكذلك منع كل ما يُضعف ذلك، والعمل على صيانة الكرامة والعفة والشرف.

خامسًا: حفظ المال: ومعناه المحافظة على المال، وجمعه بطريق حلال، والعمل على إنمائه وصونه من التلف والضياع؛ ولتحقيق ذلك شرعت أحكام كثيرة، كتحريم السرقة، والغش، وتشريع العقوبات الزاجرة عن هذه الأعمال.

كيفية حفظ الشريعة الإسلامية للضروريات الخمس:

جاءت الشريعة بحفظ كل مقصد من جانبين، هما:

أ- من جانب الإيجاد بتشريع ما يُحافظ على المقصد ويُعين على بقائه.

ب- من جانب العدم بدرء الفساد الواقع أو المتوقع عليه.

يقول الشاطبي رحمه الله: (وَالْحِفْظُ لَهَا يَكُونُ بِأَمْرَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: مَا يُقِيمُ أَرْكَانَهَا وَيُثَبِّتُ قَوَاعِدَهَا، وَذَلِكَ عِبَارَةٌ عَنْ مُرَاعَاتِهَا مِنْ جَانِبِ الْوُجُودِ.

وَالثَّانِي: مَا يَدْرَأُ عَنْهَا الاخْتِلالَ الْوَاقِعَ أَوِ الْمُتَوَقَّعَ فِيهَا، وَذَلِكَ عِبَارَةٌ عَنْ مُرَاعَاتِهَا مِنْ جَانِبِ الْعَدَمِ.)[1]

المبحث الثاني: القَصَصُ القرآنيُّ وَأثَرهُ فِي حِفْظِ ضَرُورَةِ الدين.

المطلب الأول: المحافظة على ضرورة الدين.

الدين في اللغة: من الفعل (دان) فإن تعدى بنفسه أفاد معنى الملك تقول: دانه دينًا، أي: ملكه وتصرف فيه، ومنه قوله سبحانه وتعالى: [ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤] {سورة الفاتحة الآية: ٤}، وإن تعدى باللام أفادت

(١) الموافقات: للإمام الشاطبي (٢/١٨).

الطاعة والخضوع فإذا قبل دان له، كان المقصود بذلك أنه أطاعه وخضع له، وإن تعدى بالياء أفاد الاعتقاد، ومنه قولهم: دان بالشيء أي: اتخذه دينًا ومذهبًا(١)، ويعرفه الجرجاني رحمه الله بأنه: (وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم المحمود إلى الصلاح في الحال والفلاح في المآل)(٢).

والدين المطلوب المحافظة عليه ضرورة هو الدين الصحيح، وهو دين الإسلام، قال سبحانه وتعالى: [ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ] [سورة آل عمران من الآية: ١٩] وقال سبحانه وتعالى :[ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ] [سورة آل عمران من الآية: ٨٥]، وقد بين الشاطبي رحمه الله المقصود بحفظ الدين فقال: (حفظ الدين حاصله في ثلاثة معانٍ هي: الإسلام، والإيمان، والإحسان... ومكمله ثلاثة أشياء، وهي: الدعاء إليه بالترغيب والترهيب، وجهاد من عانده ورام إفساده، وتلافي النقصان الطارئ في أصله)(٣)، ويشمل الحفظ أصول الدين وفروعه(٤)، والدين ضروري لهداية العقول من الاضطراب، والمجتمعات من التفرق، وقد ذكر أحد المعاصرين أن الدين يُقصد به أمور ثلاثة هي:

١- بمعنى الوحي الإلهي المنزل على الرسل.

٢- بمعنى الإيمان بالله تعالى.

٣- بمعنى الأحكام الشرعية(٥).

وقد تتابع أهل العلم بالتأكيد على أهمية حفظ الدين وأنه مقصد ضروري، ومن أجله شُرعت كثير من الأحكام، ووضعت سبل للمحافظة على هذا الدين التي توجب حفظ هذه حرمة هذا الدين التي هي أعظم حرمات المخلوقين.

وحفظ الشريعة لضرورة الدين جاء من جانبين هما:

الأول: من جانب الوجود.

الثاني: من جانب العدم.

وسنتكلم عن كل جانب منهما بما يتيسر.

(١) يُنظر: لسان العرب، لابن منظور (١٧/٢٤)، والقاموس المحيط، الفيروز آبادي (٤/٢٢٥)، والمصباح المنير، الحموي (ص ٣١٥)، مادة (دان).
(٢) التعريفات، للجرجاني (ص ١٤١).
(٣) الموافقات، للشاطبي (٤/٤٠٩).
(٤) يُنظر: تأصيل فقه الأولويات، محمد همام عبد الرحيم ملحم (ص ١٠٢).
(٥) يُنظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لابن عبد السلام (٢/١٢٨)، وأهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية، سميح عبد الوهاب الجندي، (ص ٢٠١).

المطلب الثاني: شواهد من القصص القرآني وأثره في المحافظة على الدين من حيث الوجود.

١- الايمان بدين الإسلام.

أوجب الشرع الحنيف بما ذكره القرآن الكريم في معرض القصص، الايمان بدين الاسلام كإيجاد للدين والحفاظ عليه بالأيمان به ولزوم توحيد الحق تبارك وتعالى، قال سبحانه وتعالى: [وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ فَذَٰلِكَ [سورة الأنبياء الآية: ٢٥]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: (أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ) [١].

يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: (معنى الحديث أن أصل دينهم واحد وهو التوحيد وإن اختلفت فروع الشرائع)[٢]

ويقول الدكتور عمر الأشقر: (الإسلام في لغة القرآن ليس اسماً لدين خاص، وإنما هو اسم للدّين المشترك الذي هتف به كل الأنبياء كما ذكر الله عزَّ وجلَّ ذلك في قصصهم في القرآن الكريم، فنوح عليه السَّلام يقول لقومه: [وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٧٢﴾] [سورة يونس من الآية: ٧٢]، وهو الدين الذي أمر الله به أبا الأنبياء إبراهيم عليه السَّلام: [ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ إِلَّا [سورة البقرة الآية: ١٣١]، ويوصي كل من إبراهيم ويعقوب عليهما السَّلام أبناءهما: [فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴿١٣٢﴾] [سورة البقرة من الآية: ١٣٢]، وأبناء يعقوب عليه السَّلام يجيبون أباهم: [نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿١٣٣﴾] [سورة البقرة من الآية: ١٣٣]، وموسى عليه السَّلام يقول لقومه: [ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٨٢﴾ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٞ] {سورة يونس من الآية: ٨٤}، والحواريون يقولون لعيسى عليه السَّلام: [قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴿٥٢﴾] [سورة آل عمران من الآية: ٥٢]، وحين سمع فريق من أهل الكتاب القرآن: [قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ ﴿٥٣﴾] [سورة القصص من الآية: ٥٣].

فالإسلام شعار عام كان يدور على ألسنة الأنبياء وأتباعهم منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصر النبوة المحمدية. [٣]

(١) صحيح البخاري، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ [وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ﴿١٦﴾] [سورة مريم من الآية: ١٦]، رقم الحديث (٣٤٤٣)، (٤/١٦٧).

(٢) فتح الباري: لابن حجر (٦/٤٨٩).

(٣) الرسل والرسالات، عمر سليمان الأشقر (ص/٢٤٣).

ونلاحظ ان يوسف عليه السَّلام دعا الى الايمان برسالة الاسلام حين قص تأويل الرؤيا على السجينين معه وبَيَّنَ لَهُمْ مِنَ الْهُدَى، ثُمَّ دعاهما إلى الإسلام فقال: [ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ ] [سورة يوسف الآية: ٣٩].(١)

هذا من ناحية الإطار العام للشرائع أما الأحكام الفقهية فقد نسخت وبدلت بمبعث سيد الرسل محمد صلى الله عليه وسلم، فقد اختصه الله، بشريعة كاملة صالحة لكل زمان ومكان، وأمر جميع الناس أن يتبعوا تلك الشريعة ويتركوا ما كانوا يتبعونه من شرائع الرسل السابقين.

بل يقرر العلماء أن ما نسخ من شرائع الرسل السابقين هي بعض التفاصيل، أما مجملات الشرائع وكلياتها وأصولها فهي واحدة متفقة، يقول الشاطبي رحمه الله: (الْقَوَاعِدُ الْكُلِّيَّةُ مِنَ الضَّرُورِيَّاتِ وَالْحَاجِيَّاتِ وَالتَّحْسِينِيَّاتِ لَمْ يَقَعْ فِيهَا نَسْخٌ، وَإِنَّمَا وَقَعَ النَّسْخُ فِي أُمُورٍ جُزْئِيَّةٍ بِدَلِيلِ الِاسْتِقْرَاءِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مَا يَعُودُ بِالْحِفْظِ عَلَى الْأُمُورِ الْخَمْسَةِ ثَابِتٌ،... بَلْ زَعَمَ الْأُصُولِيُّونَ أَنَّ الضَّرُورِيَّاتِ مُرَاعَاةٌ فِي كُلِّ مِلَّةٍ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ أَوْجُهُ الْحِفْظِ بِحَسَبِ كُلِّ مِلَّةٍ، وَهَكَذَا يَقْتَضِي الْأَمْرُ فِي الْحَاجِيَّاتِ وَالتَّحْسِينِيَّاتِ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ سبحانه وتعالى: [ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحٗا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ ][سورة الشورى من الآية:١٣]، وَقَالَ بَعْدَ ذِكْرِ كَثِيرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ -: [ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ ] [سورة الأنعام من الآية: ٩٠].(٢)

٢- الايمان بنبوة النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته.

إثبات الوحي والدلالة على صحة رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فإن هذا القصص إخبار بالغيب بالنسبة له صلى الله عليه وسلم؛ لأنّه أمي لم يقرأ هذه القصص من كتب السابقين، ولم يثبت أنه تعلم أو تلقى شيئاً من ذلك من أحبار اليهود والنصارى، فورود القصص في القرآن الكريم بهذه الدقة والإحكام وبلوغ الغاية في الفصاحة والبيان دليل على أنه وحي يوحى، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأت به من تلقاء نفسه، وقد نص القرآن الكريم على هذا في مقدمات بعض القصص أو في التعقيب عليها في نهايتها، قال سبحانه وتعالى: [ نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ بِمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾ ][سورة يوسف الآية:٣]، وقال سبحانه وتعالى في قصة مريم عليها السَّلام:[ ذَٰلِكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهِ إِلَيۡكَۖ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يُلۡقُونَ أَقۡلَٰمَهُمۡ أَيُّهُمۡ يَكۡفُلُ مَرۡيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيۡهِمۡ إِذۡ يَخۡتَصِمُونَ

(١) معالم التنزيل، للبغوي (٢/ ٤٩٢).
(٢) ينظر الموافقات: للشاطبي (٣/٣٦٥).

﴿٤٤﴾] {سورة آل عمران الآية: ٤٤}.

وجاء تعقيباً على قصة موسى عليه السَّلام في سورة القصص، قوله سبحانه وتعالى: [وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾] {سورة القصص الآية: ٤٤}.

إن في أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الغيوب الماضية وهو لم يكن حاضراً ولا مشاهداً ولا مقيما بينهم، مع انتفاء تعلمه ذلك من بشر دليل على نبوته وإثبات لرسالته حيث قص عليه تلك الأنباء الدالة على صدقه صلى الله عليه وسلم. (١)

وفي قصص القرآن قصة عيسى عليه السَّلام بقوله سبحانه وتعالى: [وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾] [سورة الصف الآية:٦]، قَالَ ابنُ كَثِيرٍ رحمه الله: (يَعْنِي التَّوْرَاةُ قَدْ بَشَّرَتْ بِي وَأَنَا مِصْدَاقُ مَا أَخْبَرَتْ عَنْهُ، وَأَنَا مُبَشِّرٌ بِمَنْ بَعْدِي وَهُوَ الرَّسُولُ النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الْعَرَبِيُّ الْمَكِّيُّ أَحْمَدُ، فَعِيسَى عليه السَّلام هو خَاتَمُ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَقَدْ أَقَامَ فِي مَلإِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَشِّرًا بِمُحَمَّدٍ وَهُوَ أَحْمَدُ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ الَّذِي لَا رِسَالَةَ بَعْدَهُ وَلَا نُبُوَّةَ.)(٢)

٣- وجوب التحاكم إليه سبحانه وتعالى:

فرض الله على الحكام أن يحكموا بما أنزل الله في كل شيء من حياة البشر وحكم على من لم يحكم به بالكفر والظلم والفسق، كما قَالَ سبحانه وتعالى: [فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾] {سورة المائدة من الآية: ٤٤}.

وفي معرض التحاكم الى الله وشريعته قال سبحانه وتعالى: [ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ] {سورة المائدة من الآية: ٤٤}، يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ يعني أنبياء بني إسرائيل بها في تحاكمهم فأوجب عليهم الرجوع لحكم الله تعالى.(٣)

(١) في ظلال القران: سيد قطب (٥/ ٢٦٩٨).
(٢) تفسير القران العظيم، ابن كثير (٨/ ١٣٦).
(٣) ينظر انوار التنزيل واسرار التأويل: البيضاوي (٢/ ١٢٨).

قال السمرقندي رحمه الله في معرض ذكر قصة خلاف النصارى واليهود عند قوله سبحانه وتعالى: [حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا] [سورة التوبة من الآية: ٣٠]، الى أنْ قال سبحانه وتعالى: [ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾] {سورة التوبة الآية: ٣١} يعني: أهل الصوامع والمتعبدين منهم، أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ، يعني: اتخذوهم كالأرباب يطيعونهم في معاصي الله[1]، فعن عدي بن حاتم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ من سورة براءة : [أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ]، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، ولكن كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئاً اسْتَحَلُّوا، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئاً حرّموا». [2]

قَالَ القُرطبي رحمه الله: (معناه أنهم أنزلوهم منزلة ربهم في قبول تحريمهم وتحليلهم لما لم يحرمه الله ولم يحله الله)[3] ومن هذا يستدل على وجوب التحاكم إلى شرع الله تعالى وعدم التحاكم الى غيره او عبادة غير الله سبحانه وتعالى.

٤- وجوب الدعوة إلى هذا الدين.

فالدعوة واجبة على القادر عليها كما قال الله سبحانه وتعالى: [أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ] {سورة النحل من الآية: ١٢٥}.

وكذا وجوب التأسي بأولي العزم من الرسل فيما لاقوه في سبيل الله والدعوة إليه من الأذى والاضطهاد، وهم مع ذلك ثابتون على مبدئهم القيم ودينهم الحق، لم يعترهم وهن ولا ضعف ولم تفتر لهم همة، ولم يخالجهم شك إلى أن قضى الله أمره وأنجز لهم وعده، فنوح عليه السَّلام سخروا منه وقالوا له: [قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾] {سورة الأعراف الآية: ٦٠}، وبقي صابرا على الدعوة لدين الله تعالى الف سنة الا خمسين عاما قال سبحانه وتعالى: [فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا ] {سورة العنكبوت من الآية: ١٤} أَيْ: فَلَبِثَ فيهم داعيا[4]، وهود عليه السَّلام قالوا له: [إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾] {سورة الأعراف من الآية: ٦٦}، واستهزأوا بشعيب عليه السَّلام: [ قَالُوا۟ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾]{سورة هود

(١) ينظر: معالم التنزيل، للبغوي (٢/٣٣٩).
(٢) ينظر: تفسير بحر العلوم، السمرقندي (٢/٥٣).
(٣) الجامع لأحكام القران، القرطبي (٤/١٠٦).
(٤) معالم التنزيل، للبغوي (٢/٤٤٥).

الآية: ٩١}، وعيسى عليه السَّلام أرادوا أن يقتلوه، قال سبحانه وتعالى: [وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ] {سورة النساء من الآية: ١٥٧}.

ويوسف عليه السَّلام وهو في السجن وفي قمة الظلم والاضطهاد وفي ظلمة السجن وأهواله لم يسعه إلا أن يكون داعيا لدين الله عزَّ وجلّ: [وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَيْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾] {سورة يوسف الآيات: ٣٨-٤٠} كل ذلك يدلنا على وجوب الدعوة الى دين الله تعالى في كل وقت وحين.

٥- الدفاع عن الدين من كل ما يفسده.

وقد شُرع الدفاع عن الدين بشتى أنواع الدفاع، والقيام بتبليغ الدعوة، وقد جاء الأمر بذلك في قوله سبحانه وتعالى: [وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ] {سورة الأنفال من الآية: ٦٠}[1].

ومن الملاحظ في قصة ذي القرنين أنه لم يأتِ بجيوش لحماية المستضعفين مع قدرته على ذلك، وإنما طلب منهم أن يعينوه ليساعدهم على حماية أنفسهم، ويتعلموا فنون الحماية، ويكسبوا خبرات، ويتدربوا على العمل الجاد المثمر الذي يجعلهم يبنون السد بأيديهم؛ وهذا أدعى للحفاظ عليه وإصلاحه إن أصابه شيء.

لقد استعان بهؤلاء الضعفاء، وطلب منهم أن يأتوا بالحديد ثم بناء السد بحيث وصل به إلى قمة الجبلين، ثم قام بصهر الحديد، وأفرغ عليه النحاس، ليكون السد في غاية المتانة والقوة قال تعالى على لسان ذي القرنين: [آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾] {سورة الكهف الآية: ٩٦}.

إذن فهو قوَّى هؤلاء الضعفاء الذين كان يهاجمهم يأجوج ومأجوج، بأن علّمهم كيف يعينون أنفسهم ويأمنون منهم، وكيف يبنون السد اتقاءً لشرهم، وجعلهم هم الذين يشتركون في البناء وهم الذين يقيمونه،

(١) يُنظر: قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لابن عبد السلام (٢/٢٠٥)، وأهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية، سميح الجندي (ص ٢١٥)، ومقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام، عمر بن صالح (ص ٤٦٨).

وأعانهم هو بخبرته وعلمه فقط؛ ليأخذوا الثقة في أنفسهم بأنهم يستطيعون حماية أنفسهم، وليتعلموا ما يعينهم ويحميهم، والإسلام ينهانا عن أن نعوِّد الناس على الكسل أو نعطيهم أجرًا بلا عمل؛ لأن ذلك هو الذي يفسد المجتمع، فالإنسان متى تقاضى أجرًا بلا عمل لا يمكن أن يعمل بعد ذلك أبدًا. (١)

والسبب في ذلك تهديد يأجوج ومأجوج للقوم، فقد كانوا مُعرَّضين لإفسادهم، ولم يحمهم منهم إلا الله ببناء السد، فكان السد رحمة من الله لهم، وكان خلاصًا لهم وإنقاذًا بإذن الله، فلو لم يتم بناء السد، ولو بقي أولئك القوم يَشكون ويندبون، بدون عمل ولا جهد ولا حركة، لما أنقذوا أنفسهم من الخطر؛ لأن الإنقاذ لا يتم إلا بالعمل والجهد المتواصل، وتكاتف الجهود، والانقياد الطوعي للشعوب لشرع الله خلف القيادة الربانية. (٢)

وفي قصة قتل داود لجالوت، قال سبحانه وتعالى: [هُزَمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾] {سورة البقرة الآية: ٢٥١}.

قال ابن كثير رحمه الله، أي: لولا الله يدفع عن قوم بآخرين كما دفع عن بني إسرائيل بمقاتلة طالوت وشجاعة داود لهلكوا. (٣)

قال السعدي رحمه الله: ومنها: أن من رحمته وسننه الجارية أن يدفع ضرر الكفار والمنافقين بالمؤمنين المقاتلين، وأنه لولا ذلك لفسدت الأرض باستيلاء الكفر وشعائره عليها (٤)

ثم قَالَ لَهُمْ: [هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ] {سورة البقرة من الآية: ٢٤٦} أَي: وَأي شيء يَمْنَعُنَا مِنَ الْقِتَالِ: [وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا] يَقُولُونَ نَحْنُ مَحْرُوبُونَ مَوْتُورُونَ، فَحَقِيقٌ لَنَا أَنْ نُقَاتِل عَن أَبْنَائِنَا المنهورين الْمُسْتَضْعَفِينَ فيهم المأسورين فِي قبضتهم. (٥)

(١) القصص القرآني في سورة الكهف: محمد متولي الشعراوي (ص٩٣/ ٩٤).
(٢) ينظر: مع قصص السابقين، صلاح الخالدي (٢/ ٣٥٠)
(٣) السِّيرةُ النّبوية عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث: الصلابي (ص ٣٥٨).
(٤) تيسير الكريم الرحمن، السعدي (ص: ١٠٩).
(٥) قصص الأنبياء، لابن كثير (٢/ ٢٥٧).

وقال القرطبي رحمه الله: (لولا ما شرعه الله للأنبياء والمؤمنين من قتال الأعداء لاستولى أرباب الشرك وعطلوا ما بنته أرباب الديانات من مواضع العبادات). (١)

وبهذا يعلم ان بالدفاع والقوة يذاد عن الدين وتحمى به حمى الاسلام ويدفع به الكفر عن دياره.

٦- تشريع أصول العبادات.

فقد شرعت أصول العبادات من صلاة وصيام وزكاة وحج؛ لتزكية النفس، وتنمية روح التدين بصفة مستمرة، والطاعة والالتزام بالتكاليف وأدائها يكون تحقيقا لهذا الدين في نفس المكلف(٢).

يقول الدكتور عمر الأشقر: (الناظر في الشرائع يجد أنها متفقة في المسائل الأساسية، وقد سبق ذكر النصوص التي تتحدث عن تشريع الله للأمم السابقة الصلاة والزكاة والحج وأخذ الطعام من حلّه وغير ذلك، والاختلاف بينها إنّما يكون في بعض التفاصيل، فأعداد الصلوات وشروطها وأركانها ومقادير الزكاة ومواضع النسك ونحو ذلك قد تختلف من شريعة إلى شريعة، وقد يحلّ الله أمراً في شريعة لحكمة، ويحرمه في شريعة أخرى لحكمة). (٣)

والمهم هنا بيان أن الإسلام العظيم دين الأنبياء جميعا، ظهر مع بداية النبوة من عهد أبينا آدم عليه السَّلام، وكل الرسالات دعت إليه ونادت به، من حيث العقائد وأصول الأحكام كالصلاة والصيام والزكاة والحج، كلها كانت لدى الأمم السابقة، قال تعالى عن نبيه إسماعيل عليه السَّلام: [ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾ ] {سورة مريم الآية: ٥٥}، وفي قصة لقمان وهو ينصح ابنه: [ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ] {سورة لقمان من الآية: ١٧}، فيوجِّه لقمان ابنه في هذه الوصية إلى أداء العبادات، وعمل الطاعات، واختصَّ الصلاة دون سائر العبادات؛ لأن الصلاة هي العبادة الجامعة لكل أنواع العبادات والطاعات من صوم وحج وإحسان وغيره.

ودليل تشريع الصيام للأمم السابقة قوله سبحانه وتعالى: [ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ ] {سورة البقرة الآية: ١٨٣}، قالَ الشَّعْبِيُّ:(أَنَّ النَّصَارَى فُرِضَ الله عَلَيْهِمْ شَهْرُ رَمَضَانَ فَصَامُوا قَبْلَ الثَّلاَثِينَ يَوْمًا وَبَعْدَهَا يَوْمًا، ثُمَّ لم يزل الْآخَرُ يَسْتَنُّ بِسُنَّةِ الْقَرْنِ الَّذِي قَبْلَهُ حَتَّى صَارُوا إِلَى خَمْسِينَ يَوْمًا). (٤)

(١) الجامع لأحكام القران: القرطبي (١٢/ ٧٠).
(٢) يُنظر: مقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام، عمر بن صالح بن عمر (ص ٤٧٢).
(٣) الرسل والرسالات، عمر سليمان الأشقر (ص/ ٢٥٠).
(٤) معالم التنزيل: البغوي (١/ ٢١٤).

وأما الحج فمذ عهد سيدنا إبراهيم عليه السَّلام، قال سبحانه وتعالى: [وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾] {سورة الحج الآية: ٢٧}، قال القرطبي رحمه الله: لما فرغ إبراهيم عليه السَّلام من بناء البيت، وقيل له: أذن في الناس بالحج، قال: يا رب، وما يبلغ صوتي، قال: أذن وعليَّ الإبلاغ، فصعد إبراهيم خليل الله جبل أبي قبيس وصاح: يا أيها الناس إن الله قد أمركم بحج هذا البيت ليثيبكم به الجنة ويجيركم من عذاب النار، فحجوا، فأجابه من كان في أصلاب الرجال وأرحام النساء: لبيك اللهم لبيك. (١)

وفي معرض الحديث عن اختلاف النصارى مع اليهود، عند قوله سبحانه وتعالى: [ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ] {سورة التوبة من الآية: ٣٠} قال البغوي رحمه الله: (وَكَانَ السَّبَبُ فِيهِ أَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى دِينِ الْإِسْلَامِ إِحْدَى وَثَمَانِينَ سَنَةً بعد ما رُفِعَ عِيسَى عليه السَّلام يُصَلُّونَ إِلَى الْقِبْلَةِ وَيَصُومُونَ رَمَضَانَ، حَتَّى وَقَعَ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْيَهُودِ حَرْبٌ) (٢)

وأما اختلاف بعض الأحكام، أو بعض التفاصيل، فهذا بحسب مراد الله من عباده في ذلك الوقت، حيث كانت الشرائع السابقة مؤقتة بزمان محدد، وبحسب ما يصلح العباد، ويصلح عليه شأنهم في ذلك الزمان.

٧- في جانب اثبات عقيدة البعث.

إثبات عقيدة البعث والجزاء ورفع الشك عنها ويبدو ذلك واضحاً جلياً في قصة الذي مَرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها قوله سبحانه وتعالى: [ أَوْ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْيِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾] {سورة البقرة الآية: ٢٥٩} فأماته الله هو وحماره، ثم أحياه الله وأحيا له حماره وهو ينظر إليه، وقد أماته الله مائة عام، وكان معه طعامه وماؤه فلم يتغيرا، وكان معه تين وعنب، وشرابه من العصير، ولم يحمض التين والعنب، ولم يختمر العصير، ووجدها بعد مائة سنة على حالها لم تتغير، فالله تعالى لا يعجزه شيء. (٣)

وقصة بقرة بني إسرائيل، قوله سبحانه وتعالى:[ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْيِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي (٣٨/١٢).
(٢) معالم التنزيل، البغوي (٣٣٨/٢)
(٣) ينظر: زاد المسير في علم التفسير: ابن الجوزي (٢٣٤/١).

ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾]{سورة البقرة الآية: ٧٣}،قال الطبري رحمه الله:(مُخَاطَبَةٌ مِنَ اللَّهِ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ، وَاحْتِجَاجٌ مِنْهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِالْبَعْثِ، وَأَمْرُهُمْ بِالِاعْتِبَارِ بِمَا كَانَ مِنْهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ مِنْ إِحْيَاءِ قَتِيلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بَعْدَ مَمَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، فَقَالَ لَهُمْ تَعَالَى ذِكْرُهُ: أَيُّهَا الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَمَاتِ، اعْتَبِرُوا بِإِحْيَائِي هَذَا الْقَتِيلَ بَعْدَ مَمَاتِهِ، فَإِنِّي كَمَا أَحْيَيْتُهُ فِي الدُّنْيَا فَكَذَلِكَ أُحْيِي الْمَوْتَى بَعْدَ مَمَاتِهِمْ، فَأَبْعَثُهُمْ يَوْمَ الْبَعْثِ.) (١)

ومن شواهده ايضا أن بني إسرائيل أصابتهم الصاعقة، ثم أحياهم الله بعد أن ماتوا، قال الله سبحانه وتعالى:[ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾] {سورة البقرة الآية: ٥٦}، قال ابن كثير رحمه الله: صعق بَعْضُهُمْ وَبَعْضٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ بُعِثَ هَؤُلَاءِ وَصُعِقَ هَؤُلَاءِ، فَقَامَ مُوسَى يَبْكِي وَيَدْعُو اللَّهَ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى أَنَّ هَؤُلَاءِ السَّبْعِينَ مِمَّنِ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ أَحْيَاهُمْ فَقَامُوا وَعَاشُوا رَجُلٌ رَجُلٌ، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ كَيْفَ يَحْيَوْنَ، وَبُعِثُوا مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لِيَسْتَوْفُوا آجَالَهُمْ. (٢)

وكذلك الذين خرجوا من ديارهم، قال سبحانه وتعالى: [ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ ] {سورة البقرة من الآية: ٢٤٣}، وقصة هؤلاء أنهم قوم من بني إسرائيل وقع فيهم الوباء، وكانوا بقرية يقال لها (داوردان)(٣)، قال ابن كثير رحمه الله: (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانُوا أَرْبَعَةَ آلَافٍ خَرَجُوا فِرَارًا مِنَ الطَّاعُونِ قَالُوا: نَأْتِي أَرْضًا لَيْسَ بِهَا مَوْتٌ حَتَّى إِذَا كَانُوا بِمَوْضِعِ كَذَا وَكَذَا قَالَ اللَّهُ لَهُمْ مُوتُوا فَمَاتُوا، فَمَرَّ عَلَيْهِمْ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ يُحْيِيَهُمْ فَأَحْيَاهُمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ عزَّ وجلّ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ الآية. وَذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ، أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ، كَانُوا أَهْلَ بَلْدَةٍ فِي زَمَانِ بَنِي إِسْرَائِيلَ اسْتَوْخَمُوا أَرْضَهُمْ، وَأَصَابَهُمْ بِهَا وَبَاءٌ شَدِيدٌ، فَخَرَجُوا فِرَارًا مِنَ الموت، هاربين إلى البرية، فنزلوا واديا أفيح، فملؤوا مَا بَيْنَ عُدْوَتَيْهِ، فَأَرْسَلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ مَلَكَيْنِ، أَحَدُهُمَا مِنْ أَسْفَلِ الْوَادِي، وَالْآخَرَ مِنْ أَعْلَاهُ، فَصَاحَا بِهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً، فَمَاتُوا عَنْ آخِرِهِمْ مَوْتَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، فَحِيزُوا إِلَى حَظَائِرَ، وَبُنِي عَلَيْهِمْ جُدْرَانُ وَقُبُورٌ، وَفَنُوا وَتَمَزَّقُوا وَتَفَرَّقُوا، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ دَهْرٍ، مَرَّ بِهِمْ نَبِيٌّ مِنْ أَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، يُقَالُ لَهُ حِزْقِيلُ، فَسَأَلَ اللَّهَ أَنْ يُحْيِيَهُمْ عَلَى يَدَيْهِ، فَأَجَابَهُ إِلَى ذَلِكَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَقُولَ: أَيَّتُهَا الْعِظَامُ الْبَالِيَةُ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكِ أَنْ تَجْتَمِعِي، فَاجْتَمَعَ عِظَامُ كُلِّ جَسَدٍ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ أَمَرَهُ فنادى: أيتها العظام إن الله يأمرك أن تكتسي لَحْمًا وَعَصَبًا وَجِلْدًا، فَكَانَ ذَلِكَ وَهُوَ يشاهد، ثُمَّ أَمَرَهُ

(١) جامع البيان: للطبري (٢/ ٢٣٢).

(٢) ينظر: تفسير القران العظيم: لابن كثير (١/ ١٦٦).

(٣) داوردان (بفتح الواو وسكون الراء وآخره نون): من نواحي شرقي واسط بينهما فرسخ، معجم البلدان: الحموي (٢/ ٤٣٤).

فَنَادَى: أَيَّتُهَا الْأَرْوَاحُ، إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكِ أَنْ تَرْجِعَ كُلُّ رُوحٍ إِلَى الْجَسَدِ الَّذِي كَانَتْ تَعْمُرُهُ فَقَامُوا أَحْيَاءً يَنْظُرُونَ قَدْ أَحْيَاهُمُ اللَّهُ بَعْدَ رَقْدَتِهِمُ الطَّوِيلَةِ وَهُمْ يَقُولُونَ: سبحانك لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، وَكَانَ فِي إِحْيَائِهِمْ عِبْرَةٌ وَدَلِيلٌ قَاطِعٌ عَلَى وُقُوعِ الْمَعَادِ الْجُسْمَانِيِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ). (١)

وكذلك في قصة إبراهيم عليه السَّلام، ومع احياء الطيور، فقد سأل ربه قائلاً: [رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ۖ ] {سورة البقرة من الآية: ٢٦٠}، قال ابن اكثير رحمه الله: (كَانَ إِبْرَاهِيمُ عليه السَّلام يَعْلَمُ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى على إِحْيَاء الْمَوْتَى علما يقينيا لَا يَحْتَمِلُ النَّقِيضَ، وَلَكِنْ أَحَبَّ أَنْ يُشَاهِدَ ذَلِكَ عِيَانًا، وَيَتَرَقَّى مِنْ عِلْمِ الْيَقِينِ إِلَى عَيْنِ الْيَقِينِ! فَأَجَابَهُ اللَّهُ إِلَى سُؤَالِهِ وَأَعْطَاهُ غَايَةَ مَأْمُولِهِ) (٢)، فأمره الله أن يأخذ أربعة من الطير فيصرهن أي: يقطعهن، فقطع الطيور الأربعة، وجعل على كل جبل منهن جزءاً، وأخذ الرؤوس بيده، فصارت تتطاير وهي جثث، وتُقبل عليه بغير رؤوس إلى قدميه، تريد رؤوسها بأعناقها، فرفع قدميه، فوضع كل طائر منها عنقه في رأسه فإذا ركب الرأس الذي ليس له امتنع حتى تأتي الجثة التي له فيركب فيها. (٣)

وفي قصة أصحاب الكهف قال سبحانه وتعالى: [وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ ] {سورة الكهف من الآية: ٢١}، أي: أطلعنا عليهم الناس لِيَعْلَمُوا أَنَّ يوم البعث والقيامة لا ريب فيه، وقد ذكر غير واحد من السلف أنه كان قد حصل لأهل ذلك الزمان شك في البعث وفي أمر القيامة، وقال عكرمة: كان منهم طائفة قد قالوا تبعث الأرواح ولا تبعث الأجساد فبعث الله أهل الكهف حجة ودلالة وآية على ذلك. (٤)

٨- في جانب الأخلاق الإسلامية والآداب العامة.

في معرض قصة ابراهيم عليه السَّلام ذكر السعدي رحمه الله: (فمن جملة مقالاته لأبيه إذ قال لأبيه: [ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾] {سورة مريم الآيتان: ٤٢-٤٣}، انظر إلى حسن هذا الخطاب الجاذب للقلوب، لم يقل لأبيه: إنك جاهل؛ لئلا ينفر من الكلام الخشن، بل قال له هذا القول: [يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَٰٓأَبَتِ لَا إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾

(١) تفسير القران العظيم: ابن كثير (١/ ٥٠٢).
(٢) قصص الانبياء: لابن كثير (١/ ٢٣٥).
(٣) ينظر: الجامع لأحكام القران: القرطبي (٣/ ٢٣٠)، وفتح القدير: للشوكاني (١/ ٣٢٥).
(٤) تفسير القران العظيم: لابن كثير (٥/ ١٣٢).

يَٰٓأَبَتِ إِنِّي قَدۡ جَآءَنِي مِنَ ] {سورة مريم الآيات:٤٣-٤٥}، فانتقل بدعوته من أسلوب لآخر لعله ينجع فيه أو يفيد، ولكنه مع ذلك قال له أبوه: [ٱلۡعِلۡمِ مَا لَمۡ يَأۡتِكَ فَٱتَّبِعۡنِيٓ أَهۡدِكَ صِرَٰطًا سَوِيّٗا ٤٣ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعۡبُدِ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلرَّحۡمَٰنِ عَصِيّٗا ٤٤ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦] {سورة مريم الآية: ٤٦}، هذا وإبراهيم لم يغضب ولم يقابل أباه ببعض ما قال، بل قابل هذه الإساءة الكبرى بالإحسان فقال: [ قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ ] {سورة مريم من الآية: ٤٧}، أي: لا أتكلم معك إلا بكلام طيب لا غلظة فيه ولا خشونة، ومع ذلك فلست بآيس من هدايتك: [سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧] {سورة مريم من الآية: ٤٧}، أي: برا رحيما قد عودني لطفه وأجراني على عوائده الجميلة، ولم يزل لدعائي مجيبا.)[1]

وفي معرض قصة يوسف عليه السَّلام قال السعدي: (ومنها: ما منَّ الله به على يوسف من العلم والحلم، والأخلاق الكاملة، والدعوة إلى الله وإلى دينه، وعفوه عن إخوته الخاطئين عفوا بادرهم به، وتمَّم ذلك بأن أخبرهم أنه لا يثرب عليهم بعد هذا العفو، ثم بره العظيم بأبيه وأمه وإحسانه على إخوته، وإحسانه على عموم الخلق، كما هو بيِّن في سيرته وقصته.)[2]

٩- الصبر على هذا الدين:

في قصص القرآن الكريم الكثير من الآيات التي تحث المسلم على الصبر على هذا الدين وتأصل للصبر، فكانت تأتي تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وتثبيتا لفؤاده لما يلاقي من أذى واضطهاد، قال سبحانه وتعالى: [ وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ ] {سورة هود من الآية:١٢٠}، وقال سبحانه وتعالى: [وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِۚ وَلَقَدۡ جَآءَكَ مِن نَّبَإِئ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٣٤] {سورة الأنعام الآية: ٣٤}.

فلو استقرئنا آيات القرآن لوجدنا:

أنّ نوحاً عليه السَّلام أُرسل إلى قومه فآذوه أذى شديداً؛ فصبر على أذاهم ألف سَنة إلا خمسين عامًا، واتهموه بالضلال وقالوا: [إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٦٠] {سورة الأعراف من الآية: ٦٠}، وآذوه في صحبته وأتباعه، ورموه بالكذب، وليس شيء أعسر على الصادق من أن يرمى بالكذب، قالوا: [مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ٢٧] {سورة هود من الآية: ٢٧}، ولأنهم عدّوا من آمن معه من الأراذل؛ فإنهم لم

(١) تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن، عبد الرحمن بن ناصر السعدي (١/ ٢٠١).
(٢) المصدر نفسه (١/ ٢٧٦).

يتورعوا عن السخرية من نوح ومن معه [وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ] {سورة هود من الآية: ٣٨}، ورموه بالجنون وهو أكملهم عقلاً، وأسدهم رأياً، وأكثرهم حلماً فقالوا: [إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾] {سورة المؤمنون الآية: ٢٥}، وهددوه إن استمر في دعوته بالرجم [قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ﴿١١٦﴾] {سورة الشعراء الآية: ١١٦}، ولكن رغم طول أمد دعوته، وقلة المستجيب له، وشدة الأذى عليه فإنه صبر فظفر.

وإذا تفكر الداعية المحتسب في صبر نوح على أذى قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً هان عليه ما يصيبه من أذى في أربعين سنة فقط أو خمسين أو ستين.

وأوذي هود عليه السَّلام في الله تعالى، واتهمه قومه بالسفه في عقله، والكذب في قوله؛ فقالوا: [إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦٦﴾] {سورة الأعراف من الآية: ٦٦}، وادّعوا أن آلهتهم مسته بهذا الجنون: [إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ] {سورة هود من الآية: ٥٤}.

وأوذي صالح عليه السَّلام في الله تعالى فرماه قومه بالكذب فقالوا: [إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُۥ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾] {سورة المؤمنون الآية:٣٨}، وزعموا أنه مسحور: [قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾] {سورة الشعراء الآية:١٥٣}، وأجمعوا قتله وأهله في ليل مظلم، ولكن الله تعالى نجاه: [قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ] {سورة النمل من الآية:٤٩}.

وأوذي الخليل عليه السَّلام في الله تعالى؛ فهجره أبوه وهدد برجمه [قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾] {سورة مريم الآية: ٤٦}، وعزم قومه على قتله وحرقه [فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ] {سورة العنكبوت من الآية: ٢٤}.

وأوذي لوط عليه السَّلام في الله تعالى؛ فتواصى قومه على طرده وتشريده بسبب طهارته من فواحشهم [قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾] {سورة النمل من الآية: ٥٦}، وآذوه في ضيفه بمحاولة الاعتداء السافر القذر عليهم، حتى علاه الهم، وركبه الكرب، وخشي عليهم فحش قومه [وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِىٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾] {سورة هود الآية:٧٧} وطلب من قومه ان لا يخزوه في ضيفه [فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾] {سورة هود من الآية:٧٨}، وبلغ من همّه وكربّه عليه السَّلام أن قال: [لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ ﴿٨٠﴾] {سورة هود من الآية: ٨٠}.

وأوذي شعيب عليه السَّلام في الله تعالى؛ فرماه قومه بالكذب، وزعموا أنه مسحور [قَالُوٓا۟ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ

ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ ] {سورة الشعراء الآيتان: ١٨٥-١٨٦}، وعزموا على إخراجه ومن معه، وهددوه بالرجم لولا تقديرهم لعشيرته: [ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا ۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ] {سورة هود الآية: ٩١}.

وأوذي كليم الله موسى عليه السَّلام في الله تعالى أعظم الأذى؛ فاتهمه فرعون بالسحر لما جاءه بالآيات: [ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ] {سورة الشعراء الآية: ٣٤}، ورماه بالجنون لما عَرَّفَهُ بالله تعالى: [ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ ] {سورة الشعراء الآية: ٢٧}، وادعى أنه مسحور فقال: [إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ﴿١٠١﴾ ] {سورة الإسراء من الآية: ١٠١}، وزعم أنه في دعوته كاذب [وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ ] {سورة القصص من الآية: ٣٨}، واستصغره فرعون وحقّر من شأنه وَعيّرهُ فقال: [ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ] {سورة الزخرف الآية: ٥٢}.

وبلغ الأذى بموسى عليه السَّلام ومن معه منتهاه حين توعدهم فرعون قائلا: [سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ ] {سورة الأعراف من الآية: ١٢٧}، وموسى عليه السَّلام يثبتهم ويصبرهم ويعدهم بنصر الله تعالى فيقول: [ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ ] {سورة الأعراف الآية: ١٢٨}، وتآمروا على قتله قبل هجرته عليه السَّلام إلى مدين، وبعد عودته منها بحُجة أنهُ مفسد: [وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِىٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِى ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ ] {سورة غافر الآية: ٢٦}.

ورحم الله موسى عليه السَّلام فقد استمر أذى قومه له حتى بعد هلاك فرعون، بتعنت بني إسرائيل، وكثرة سؤالهم واختلافهم، وبطئهم في الامتثال، وعبادتهم للعجل، ورميهم موسى عليه السَّلام بالسخرية فقالوا: [أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾ ] {سورة البقرة من الآية: ٦٧}، وعصوه في الجهاد وقالوا: [فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾ ] {سورة المائدة من الآية: ٢٤}، ومن صور أذاهم لموسى ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: «إِنَّ مُوسَى كَانَ رَجُلاً حَيِيًّا سِتِّيرًا، لاَ يُرَى مِنْ جِلْدِهِ شَيْءٌ اسْتِحْيَاءً مِنْهُ، فَآذَاهُ مَنْ آذَاهُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ فَقَالُوا: مَا يَسْتَتِرُ هَذَا التَّسَتُّرَ، إِلَّا مِنْ عَيْبٍ بِجِلْدِهِ: إِمَّا بَرَصٌ وَإِمَّا أُدْرَةٌ: وَإِمَّا آفَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهُ مِمَّا قَالُوا لِمُوسَى؛ فَخَلاَ يَوْمًا وَحْدَهُ، فَوَضَعَ ثِيَابَهُ عَلَى الحَجَرِ، ثُمَّ اغْتَسَلَ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ إِلَى ثِيَابِهِ لِيَأْخُذَهَا، وَإِنَّ الحَجَرَ عَدَا بِثَوْبِهِ، فَأَخَذَ مُوسَى عَصَاهُ وَطَلَبَ الحَجَرَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: ثَوْبِي حَجَرُ، ثَوْبِي حَجَرُ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى مَلاَ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَرَأَوْهُ عُرْيَانًا أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللهُ، وَأَبْرَأَهُ مِمَّا يَقُولُونَ... فَذَلِكَ قَوْلُهُ: [ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْ

وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ ] {سورة الأحزاب الآية: ٦٩} [1]، ولا عجب مع كثرة الأذى الذي ناله وقت فرعون وبعده أن يقول لقومه: [يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ] {سورة الصف من الآية: ٥}، ولا عجب أن يتمثل النبي صلى الله عليه وسلم بموسى عليه السَّلام لما آذاه الأعرابي واتهمه بأنه لم يعدل في قسمة الغنائم فقال صلى الله عليه وسلم «رَحِمَ اللَّهُ مُوسَى قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ». [2]

وأوذي المسيح عليه السَّلام في الله تعالى فصبر، أوذي في أمه وعرضها، وما أشد ذلك على النفوس: [ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ ] {سورة النساء الآية:١٥٦}، وسعى اليهود في قتله؛ فاختبأ وطورد، وأوذي حتى رفعه الله تعالى إليه، ونجاه من مكرهم: [بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ] {سورة النساء الآية: ١٥٨}.

وأوذي النبي محمد صلى الله عليه وسلم كما أوذي الرسل من قبله؛ فطورد وحورب وهُجِّر، وضرب وخنق وجرح، ووضع الأذى على ظهره وفي طريقه، وأجمعت قريش على قتله [ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ] {سورة الأنفال من الآية:٣٠}، ورموه بالشعر والجنون [ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ]{سورة الصافات الآية: ٣٦}، وزعموا أنه مسحور [وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾ ]{سورة الفرقان من الآية: ٨}.

تلك هي مواقف المرسلين، وصور من صبرهم على أذى المؤذين [ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٠﴾ ]{سورة الأنعام الآية: ٩٠}.

إنها سنة الله تعالى في المرسلين، وسنته سبحانه في ورثتهم من المصلحين [ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ ] {سورة الفرقان من الآية:٣١}، ولا سلاح لهم إلا الصبر على أذى المؤذين، واليقين بأن وعد الله حق [ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا۟ عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا۟ وَأُوذُوا۟ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٤﴾ ]{سورة الأنعام الآية: ٣٤}.

ومن هذا وجب على الدعاة التحلي بالصبر، والثبات على الحق مهما كلف الأمر، وكثرة العبادة والذكر؛ فإن لذلك تأثيرا عجيبا على ثبات القلب وقوته في الحق؛ ولذا أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك في كثير من الآيات، [ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ ] {سورة الأحقاف من الآية: ٣٥}.

(١) صحيح البخاري، بَابُ حَدِيثِ الخَضِرِ مَعَ مُوسَى -، رقم الحديث (٣٤٠٤)، (٤/ ١٥٦).
(٢) صحيح البخاري، بَابُ غَزْوَةِ الطَّائِفِ، رقم الحديث (٤٣٣٦)، (٥/ ١٥٩).

المطلب الثالث: شواهد من القصص القرآني وأثره في المحافظة على الدين من حيث العدم.

ويعرف هذا المقصد من جانب العدم بأنه: ما يدرأ عنه الاختلال الواقع أو المتوقع فيه [١]، أو ردُّ كل ما يخالف الدين من الأقوال والأفعال [٢]، ومن وجوه حفظ الشريعة لضرورة الدين من جانب العدم ما يأتي:

١- التحذير من الوقوع في الشرك والكفر.

فقد حذر الشارع الحكيم من الوقوع في الشرك أو ما يؤدي إليه، كما حذر من صرف شيء من العبادات لغير الله سبحانه وتعالى، أو أداء العبادة بدون إخلاص، أو مخالفة للصفة المشروعة فيها؛ لأن ذلك يؤدي إلى ضعف المحافظة على الدين.

قال سبحانه وتعالى: [وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾]{سورة النحل الآية: ١١٢}، فالكفر بالله سبب من اسباب انتفاء الامن وحلول الخوف، فقد عاقب الله قرى سابقة كانت آمنة مطمئنة بما قَسم الله عَليها فلما كفرت أبدل الله نعمة الامن التي كانوا يتنعمون بها الى خوف وجوع بسبب كفرهم بأنعم الله، وضرب مكة مثلا في هذه الآية لغيرها من البلاد؛ أي أنها مع جوار بيت الله وعمارة مسجده لمَّا كفر أهلها أصابهم القحط فكيف بغيرها من القرى. [٣]

قال الثعلبي رحمه الله: يَعْنِي: مَكَّةَ كَانَتْ آمِنَةً لَا يُهَاجُ أَهْلُهَا وَلَا يُغَارُ عَلَيْهَا، مُطْمَئِنَّةً، قَارَّةً بِأَهْلِهَا لَا يَحْتَاجُونَ إِلَى الِانْتِقَالِ لِلِانْتِجَاعِ كَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ سَائِرُ الْعَرَبِ، يَأْتِيها رِزْقُها رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكانٍ، يُحْمَلُ إِلَيْهَا مِنَ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ، فَأَذاقَهَا اللَّهُ لِباسَ الْجُوعِ، ابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِالْجُوعِ سَبْعَ سِنِينَ وَقَطَعَتِ الْعَرَبُ عَنْهُمُ الْمِيرَةَ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حَتَّى جهدوا وأكلوا الْعِظَامَ الْمُحَرَّقَةَ، وَالْجِيَفَ وَالْكِلَابَ الْمَيِّتَةَ، وَالْعِهْنَ وَهُوَ الْوَبَرُ يُعَالَجُ بِالدَّمِ، حَتَّى كَانَ أَحَدُهُمْ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ فَيَرَى شِبْهَ الدُّخَانِ مِنَ الْجُوعِ، وَأَمَّا الْخَوْفِ، فَيَعْنِي: بُعُوثَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَسَرَايَاهُ الَّتِي كَانَتْ تُطِيفُ بِهِمْ. بِما كانُوا يَصْنَعُونَ. [٤]

وفي قصة الخليل إبراهيم عليه السَّلام وهو يدعو ربه بدعاء عظيم: [وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ﴿٣٥﴾]{سورة إبراهيم من الآية: ٣٥} أي: اجعلني وبني في حيز وجانب عن عبادة الأصنام، وباعد بيننا وبينها، وهذا مما يخيف العبد، فإذا كان الخليل عليه السَّلام إمام الحنفاء، الذي جعله الله أمة وحده، وابتلي

(١) الموافقات، للشاطبي (٢/٦).
(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، محمد اليوبي (ص٢٠٦).
(٣) تفسير الجامع لأحكام القرآن، القرطبي: (١٠/ ١٩٤)
(٤) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن: الثعلبي (٤٨/٦).

بكلمات فأتمهن، وقد كسر الأصنام بيده، يخاف أن يقع في الشرك، فكيف يأمن الوقوع فيه من هو دونه بمراتب، بل أولى بالخوف منه، وعدم الأمن بالوقوع فيه، قال إبراهيم التيمي رحمه الله: «ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم عليه السَّلام». (١)

وقال الرازي رحمه الله: (أَنَّهُ عليه السَّلام وَإِنْ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ تَعَالَى يَعْصِمُهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ إِلَّا أَنَّهُ ذَكَرَ ذَلِكَ هَضْمًا لِلنَّفْسِ وَإِظْهَارًا لِلْحَاجَةِ وَالْفَاقَةِ إِلَى فَضْلِ اللَّهِ فِي كُلِّ الْمَطَالِبِ.) (٢)

كما وحذر عليه السَّلام وخوف قومه من عبادة الاصنام والشرك بالله: [إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا] {سورة العنكبوت من الآية:١٧} قال السمرقندي رحمه الله: أَوْثاناً يعني: أصناما وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً يعني: تعملونها بأيديكم، ثم تقولون إنها آلهة، ويقال: تتخذونها آلهة كذباً لا يقدرون أن يعطوكم مالاً، ولا يقدرون أن يرزقوكم، وقد بين الخليل عليه السَّلام، السبب الذي أوجب له الخوف من ذلك بقوله: [ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ ] {سورة إبراهيم من الآية: ٣٦}. (٣)

وإذا عَلِمَ العَبدُ ذلك وتحققه، خاف من الشرك أعظم الخوف، كيف لا والأنبياء عليهم الصلاة والسلام يخافون منه، ويحذرون اقوامهم منه.

٢- النهي عن المنكرات والمعاصي.

فقد نهى الله عزَّ وجلَّ عن المنكر ومحاربة الفساد بكل أنواعه حفظًا للدين، وحماية لبيضته؛ ذلك أن انتشار المنكرات يسبب ضعف المحافظة على الدين سواء المنكرات العقدية، أو في العبادات، أو في الأخلاق والآداب.

وكان للقصص القرآني الدور الكبير في التأصيل لهذا النهي، ففي قصة لقمان عليه السَّلام، قال سبحانه وتعالى: [ ۞أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ] {سورة لقمان الآيات: ١٧-١٩}

قال النسفي رحمه الله: أي ولا تعرض عنهم تكبراً، وأقبل على الناس بوجهك تواضعاً، ولا تمشي لأجل المرح والأشر، فالله لاَ يُحِبُّ كُلَّ متكبر يعدد مناقبه تطاولا، وليكن مشيك توسطاً بين العلو والتقصير واخفض صوتك ولا يكن كصوت الحمار أوله زفير وآخره شهيق. (٤)

(١) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد: للواحدي (٣/ ٣٣).
(٢) مفاتيح الغيب: الرازي (١٩/ ١٠١).
(٣) ينظر: بحر العلوم: للسمرقندي (٢/ ٦٢٨).
(٤) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل: النسفي (٢/ ٧١٦).

والمعاصي والذنوب سبب الهلاك فقد جاء في سورة العنكبوت لمحة خاطفة عن قصة كل نبي، مختومة بالعذاب الذي عذب به المذنبون من قومه حتى ختمت جميع القصص المجملة بقوله تعالى: [فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾] {سورة العنكبوت الآية: ٤٠}

٣- النهي عن الاختلاف.

وقد ذكر أهل العلم أن الشارع قد حث على الاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده، والحرص على اتباعهم، والبعد عن الإحداث والابتداع في الدين الذي يؤدي إلى الاختلاف ويسبب إضعاف المحافظة على الدين(١).

لقد حذر الله تعالى من الاختلاف في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، كما في قوله سبحانه وتعالى بعد ان ذكر حال من أهلكهم من القرون من قبلنا: [وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾] {سورة هود الآية: ١١٨}، قال البغوي رحمه الله: (خَلَقَ أَهْلَ الرَّحْمَةِ لِلرَّحْمَةِ، وَأَهْلَ الِاخْتِلَافِ لِلِاخْتِلَافِ، ومحصول الآية أَنَّ أَهْلَ الْبَاطِلِ مُخْتَلِفُونَ وَأَهْلَ الْحَقِّ مُتَّفِقُونَ، فَخَلَقَ اللَّهُ أَهْلَ الْحَقِّ لِلِاتِّفَاقِ وَأَهْلَ الْبَاطِلِ لِلِاخْتِلَافِ. وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ، وَتَمَّ حُكْمُ رَبِّكَ، لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ.)(٢)

وقد ذكر الله تعالى أن المختلفين اختلفوا بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فلذلك ذمهم الله، لأن العلم جاءهم من الله واضحا جليا فاختلفوا، قاصدين البغي معرضين عن الهدى، مع علمهم بالحق، ولم يكونوا باختلافهم مجتهدين مخطئين قال سبحانه وتعالى: [وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ ] {سورة آل عمران من الآية: ١٩}، وكذلك قوله سبحانه وتعالى: [ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾] {سورة البقرة الآية: ١٧٦}، وكذلك وصف اختلاف النصارى بقوله سبحانه وتعالى: [فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ] {سورة المائدة من الآية: ١٤}، ووصف اختلاف اليهود بقوله سبحانه وتعالى: [وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ] {سورة المائدة من الآية: ٦٤}، وغيرها من الآيات التي تذم الاختلاف الذي ينافي ما أمر به الله عزَّ وجلَّ كل الأنبياء عليهم السلام. (٣)

(١) يُنظر: في مصالح الأنام، لابن عبد السلام (١/ ٢).
(٢) معالم التنزيل: البغوي (٢/ ٤٧١).
(٣) ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة، لعبد الله بن محمد الغنيمان، (ص ٣٠)..

## الخاتمة

بعد ان عرضنا في هذا البحث جوانب من القصص القرآني وأثرها في حفظ ضرورة الدين فإننا نستعرض هنا اهم النتائج التي افرزتها الدراسة:

١- جاء القران الكريم بأحسن القصص وقد بناها بناء محكماً من لبنات من الحقيقة المطلقة التي لا يطوف بحماها طائف من خيال ولا يطرقها طارق منه.

٢- حث القصص القرآني على المحافظة الدين، والعمل به، والحرص على صيانته بالمحافظة على ما يقويه في النفوس، ومحاربة ما يُخل به، ويهدف إلى تثبيت أركانه ونشره.

٣- جاءت الشريعة بحفظ كل مقصد من مقاصد الشريعة من جانبين، هما:

أ- من جانب الإيجاد بتشريع ما يُحافظ على المقصد ويُعين على بقائه.

ب- من جانب العدم بدرء الفساد الواقع أو المتوقع عليه.

المصادر والمراجع:

١- وهي بعد القرآن الكريم.

٢- الإحكام في أصول الأحكام: علي بن محمد الآمدي علق عليه: عبد الرزاق عفيفي الناشر: المكتب الإسلامي، (دمشق - بيروت) الطبعة: الثانية، ١٤٠٢ هـ.

٣- الأصول العامة، محمد تقي حكيم، الطبعة الثانية، سنة الطبع آب (أغسطس) ١٩٧٩م.

٤- انوار التنزيل واسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٥- أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وأثرها في فهم النص واستنباط الحكم تأليف: الدكتور: سميح عبد الوهاب الجندي مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م

٦- بحر العلوم: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (ت ٣٧٣هـ) دار الكتب العلمية،

٧- البرهان في أصول الفقه: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، أبو المعالي، ركن الدين، الملقب بإمام الحرمين (ت ٤٧٨هـ)، تحقيق: صلاح بن محمد بن عويضة، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م

٨- تاج العروس: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين، وزارة الإرشاد والأنباء في

الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، الطبعة: الأولى / ١٤١٤ هـ.

٩- تأصيل فقه الأولويات، محمد همام عبد الرحيم ملحم، عمان (الاردن) دار العلوم للنشر والتوزيع ٢٠٠٧.

١٠- التعريفات: علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (ت ٨١٦هـ)، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف، دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ –١٩٨٣م.

١١- تفسير ابن فورك: محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر (ت ٤٠٦)، تحقيق: علال عبد القادر بندويش، جامعة أم القرى – المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ – ٢٠٠٩ م

١٢- تفسير الجامع لأحكام القرآن: أبو عبد الله، محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: ٢، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤م.

١٣- تفسير القران العظيم: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩هـ.

١٤- تفسير القرآن: أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (ت ٣١٩ هـ)، حققه وعلق عليه الدكتور: سعد بن محمد السعد، دار المآثر – المدينة النبوية، الطبعة: الأولى ١٤٢٣ هـ، ٢٠٠٢ م

١٥- التقرير والتحبير: أبو عبد الله، شمس الدين محمد بن محمد بن محمد المعروف بابن أمير حاج ويقال له ابن الموقت الحنفي (المتوفى: ٨٧٩ هـ)، دار الفكر_ بيروت ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م.

١٦- تهذيب اللغة: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م

١٧- تيسير الكريم الرحمن: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ –٢٠٠٠ م

١٨- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن: ابو عبد الله، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله بن ناصر بن حمد آل سعدي (ت ١٣٧٦هـ)، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ه

١٩- جامع البيان: بو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠هـ)، توزيع: دار التربية والتراث – مكة المكرمة – ص.ب: ٧٧٨٠، الطبعة: بدون تاريخ نشر

٢٠- ذم الفرقة والاختلاف في الكتاب والسنة، لعبد الله بن محمد الغنيمان، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٩٨٥م، ط: ١.

٢١- الرسل والرسالات: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، دار النفائس للنشر والتوزيع، الكويت الطبعة:٤، ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م.

٢٢- زاد المسير في علم التفسير: مال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢ هـ

٢٣- السِّيرةُ النّبوية عرضُ وقائع وَتحليل أحدَاث: علي محمد محمد الصلابي، دار المعرفة،٢٠٠٨

٢٤- شرح تنقيح الفصول: أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي الشهير بالقرافي (ت ٦٨٤هـ)، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، الطبعة: الأولى، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

٢٥- صحيح البخاري: أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري الجعفي، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ.

٢٦- علم أصول الفقه: بد الوهاب خلاف (ت: ١٣٧٥هـ)، مكتبة الدعوة - شباب الأزهر (عن الطبعة الثامنة لدار القلم).

٢٧- فتح الباري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢ هـ)، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩

٢٨- فتح القدير: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤ هـ

٢٩- في ظلال القران: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥ هـ)، دار الشروق - بيروت- القاهر، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ

٣٠- في مصالح الأنام: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (ت ٦٦٠هـ)، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة (وصورتها دور عدة مثل: دار الكتب العلمية - بيروت، ودار أم القرى - القاهرة)، سنة الطبع ١٤١٤ هـ - ١٩٩١م.

٣١- القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر

والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م

٣٢- قصص الأنبياء: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مطبعة دار التأليف – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨ هـ – ١٩٦٨ م

٣٣- القصص القرآني في سورة الكهف: محمد متولي الشعراوي، مكتبة الشعراوي الإسلامية، مصر – القاهرة.

٣٤- القصص القرآني في مفهومة ومنطوقة: لعبد الكريم الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٧٥م – ١٣٩٥هـ.

٣٥- القصص القرآني: د. عبد الباسط بلبول، مكتبة كلية أصول الدين – القاهرة– ط. ١– د.ت.

٣٦- الكشف والبيان عن تفسير القرآن: أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أبو إسحاق (ت ٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، راجعة وتدقيق: الأستاذ نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٢٢، هـ – ٢٠٠٢ م

٣٧- لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ

٣٨- مدارك التنزيل وحقائق التأويل: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ – ١٩٩٨ م

٣٩- المستصفى: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م

٤٠- المصباح المنير: احمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت نحو ٧٧٠ هـ)، المكتبة العلمية – بيروت

٤١- مع قصص السابقين، صلاح عبد الفتاح الخالدي. دار القلم. سنة النشر, ١٩٨٩م ١٤٠٩ه.

٤٢- معالم التنزيل في تفسير القرآن: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ

٤٣- معجم البلدان: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م

٤٤- مفاتيح الغيب: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠ هـ

٤٥- المفردات: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: ١ - ١٤١٢هـ

٤٦- مفهوم القصة القرآنية وأغراضها عند السابقين والمعاصرين، د. العرابي خضر دار الغرب، ط/١.

٤٧- المقاصد الشرعية وأثرها في الفقه الإسلامي: محمد عبد العاطي محمد علي، ١٤٢٨ ٢٠٠٧

٤٨- المقاصد الشرعية، تعريفها وأمثلتها وحجيتها: نور الدين بن مختار الخادمي، مكتبة العبيكان الطبعة: الأولى ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

٤٩- مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية: محمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، دار الهجرة، ١٩٩٨_١٤١٨.

٥٠- مقاصد الشريعة، يوسف أحمد محمد البدوي، دار النفائس، ٢٠٠٠

٥١- مقاصد الشريعة عند الإمام العز بن عبد السلام، عمر بن صالح بن عمر، دار النفائس، ٢٠٠٣م.

٥٢- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية، يوسف حامد العالم، دار الحديث - القاهرة سنة الطبع ١٩٩٤م.

٥٣- الموافقات: أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي (ت ٧٩٠ هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان تقديم: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار ابن عفان، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٥٤- النهاية في غريب الحديث والأثر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (ت ٦٠٦هـ)، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي

٥٥- الوسيط في تفسير القرآن المجيد: ابو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عدوس قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.